

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الحادية والسبعون

## محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، إنه المفتي الشاب.

أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المكي الغزي المولد . كان مولده بغزة ومات أبوه إدريس شاباً فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه فخافت عليه الضيعة فتحولت به إلى مكة وهو ابن عامين فنشأ بها وأقبل على الرمي حتى فاق فيه الأقران وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ثم أقبل على العربية والشرع فبرع في ذلك وتقدم . ثم حجب إليه الفقه فساد أهل زمانه . حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وفظ الموطأ وهو ابن عشر.

هكذا كانت بداية حياة هذا الفتى فقد كان حريصاً على العلم جاداً في كل أموره، فلم يعرف للهو طريقاً ، ولا للكسل أرضاً، فقد كان شبابه على طلب العلم، وحميد الخصال، حتى أدرك ما أدرك من حميد الأفعال .

كان هذا الإمام الشاب شغوفاً بطلب العلم ، ولو كلفه ذلك ما كلفه، فقد كان (رحمه الله) ينتقل من بلد إلى بلد، لتحصيل العلم، فارتحل من مكة إلى المدينة ، وهو ابن نيف وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة، فحمل عن مالك بن انس الموطأ عرضه من حفظه وقيل من حفظه لأكثره . ورحل إلى اليمن وبغداد وأخذ عن علمائها.

ولنا وقفة مع رحلات الشباب في هذا الزمان، حيث تيسرت فيه سبل المواصلات

الجوية والبرية والبحرية. فأصبح الوصول إلى أبعد مكان في الدنيا يحسب بالساعات، وليس الأيام أو الشهور، كما كان سابقاً. فلعل الشباب يدركوا نعمة الله عليهم في هذا الجانب، ويحمدوا الله ويشكروه على هذا التيسير، ومن شكر الله على هذه النعمة أن لا يكون السفر إلا لمصلحة دينية أو دنيوية، وخيرهما المصلحة الدينية، كطلب علم أو قيام بدعوة أو نحو ذلك، مع مراعاة أن يغلب على ظن الشاب السلامة في دينه، فقد يطلب مصلحة ويفوته ما هو أكبر منها. كما أنه يجب على الشاب الحذر كل الحذر من السفر إلى بلاد الكفار لغير حاجة، والأخطر من ذلك أن يقصد الشاب في سفره ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب، نعود مرة أخرى لسيرة صاحبنا في هذه الحلقة . فقد صنف الشافعي التصانيف ودون العلم متبعا للأثر وصنف في أصول الفقه وفروعه وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة .

وعن نشأته يحدث فيقول : ولدت بعسقلان فلما أتى علي سنتان حملتني أمي إلى مكة . ويقول أيضاً : كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي اخاف ان يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر قال وكنت اصيب من العشرة تسعة .

وقال الحميدي سمعت الشافعي يقول كنت يتيما في حجر أمي ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم وكان المعلم قد رضي مني ان اقوم على الصبيان إذا غاب وأخفف عنه. نعم كان الشافعي في بداية حياته في العلم ينوب عن المعلم في حال غيابه ويخفف عنه، ولعل ذلك كان مقابل ما يدفع للمعلم أجرة على تعليمه .

ولنا أن نتساءل الآن كيف كان الشافعي يكتب العلم، هل كان يكتبه على الحاسب ، أو كان يكتبه بخط يده، بأوراق ناصعة البياض، أو أخرى مزركشة ملونة، يحدثنا عن هذا الجانب فيقول : كنت أكتب في الاكتاف والعظام وكنت اذهب إلى الديوان فأستوهب الظهور فأكتب فيها .

وقال عمرو بن سواد قال لي الشافعي كانت نهمتي في الرمي وطلب العلم فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة وسكت عن العلم فقلت انت والله في العلم أكبر منك في

الرمي .

وعن حديثه مع شيوخه يقول : أتيت مالكا وانا ابن ثلاث عشرة سنة -قال الذهبي : والظاهر انه كان ابن ثلاث وعشرين سنة- قال فأتيت ابن عم لي والي المدينة فكلّم مالكا فقال: اطلب من يقرأ لك قلت أنا أقرأ فقرأت عليه فكان ربما قال لي لشيء قد مر اعده فأعيده حفظا فكأنه أعجبه، ثم سألته عن مسألة فأجابني، ثم أخرى فقال أنت تحب ان تكون قاضياً . ولعل ذلك من دقة أسئلته وعمق مسأله .

وكان من جد هذا الفتى في طلبه للعلم وحرصه عليه أن بلغ درجة الإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة ، فعن الحميدي سمعت مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك ان تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة.

فيألى أي مدى من العلم يبلغ الشاب في سنه من هذا العصر، هل تعلم الأمور الضرورية لعبادته، كمسائل الوضوء والصلاة والصيام ونحوها، هل يعرف المسائل الهامة في عقيدته، فضلاً عن أن يقوم بإفتاء غيره أو تعليمه .

ومن هنا كلمة أوجهها إلى الشباب وأولياء أمور الشباب للحرص على التربية الجادة في أول الحياة، والتعليم النافع، والالتحاق بأهل العلم وملازمتهم، وعلى رأس ذلك كله الحرص على حفظ كتاب الله ، وما تيسر من حديث رسول الله، ينشأ الشاب بعد ذلك رجلاً صالحاً ، عالماً عاملاً .

ولم يكن الشافعي (رحمه الله) يشغل إلا بما ينفع من العلوم، فهو يميز صحيحها من سقيمها، ومن سعة علمه ودقة فهمه ، أدرك خطر ما اشتغل به بعض أهل عصره من علم الكلام، فكان يجتنبه ، ويحذر الناس منه ، فمن ذلك قوله : «لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه كما يفرون من الاسد» . وقوله : «لان يلقي الله العبد بكل ذنب الا الشرك خير من ان يلقيه بشيء من الاهواء» .

وما ذاك إلا لكمال عقله (رحمه الله) قال يونس الصدي ما رأيت اعقل من الشافعي ناظرته يوما في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال يا ابا موسى الا يستقيم ان نكون

اخوانا وان لم نتفق في مسألة . هذا يدل على كمال عقل هذا الامام وفقه نفسه فما زال  
النظرء يختلفون .

هذا من أدبه مع المخالف، فكيف بأدبه مع الموافق ، وهذا ما يجب أن يتحلى به أهل  
العلم، من الصفات الحميدة، وبخاصة الشباب منهم، فرمما يأخذهم الحماس أو الانتصار  
للنفس إلى قول أو فعل لا يليق بهم .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا  
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة  
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .